أسس الموازنة البلاغية
بين النظرية والتطبيق

إعـــداد

أ. د/ تامر محمد أحمد حجازي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر

أسس الموازنة البلاغية بين النظرية والتطبيق

تامر محمد أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد المساعد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: drtamer@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يدور هذا البحث حول الأسس النظرية للموازنة البلاغية، وهي تتمثل في مجموعة من الأصول والأسس التي استنبطها الباحث من تراثنا العربي يمكن أن يسير عليها الباحثون في ميدان الموازنة البلاغية، وقد دعم الباحث تلك الأسس النظرية ببعض النماذج التطبيقية للموازنة البلاغية، وذكر خطة مقترحة للبحث في الموازنات.

الكلمات المفتاحية: الموازنة البلاغية- التراث العربي- النظرية- التطبيق- الآمدي- الجرجاني.

Foundations of the rhetorical balance between theory and practice

Tamer Mohamed Ahmed Hegazy
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Arabic Language in Itay Al-Baroud - Al-Azhar University - Egypt.
Email: drtamer@azhar.edu.eg

Abstract: This research revolves around the theoretical foundation of the rhetorical comparison, and it is represented in a set of principles and foundation that the researcher has drawn from our Arabic heritage that researcher can follow in the field of rhetorical comparison. And the researcher supported these theoretical foundation with some applicable examples for the rhetorical comparison, and mentioned suggested plan for the research of comparison.

Key words: balancing, rhetoric, Arab heritage, theory, application, Amidian, Jarjani.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد....

فمما لا شك فيه أن الدراسات البلاغية الموازنة من أمتع الدراسات التي يجد فيها طالب العلم بغيته، وهي مع ذلك من أصعب الميادين، فطريقها وعر المسالك، دقيق المداخل، يحتاج إلى عمق في الفهم، وحضور للذهن، وإعمال للعقل، وتحريك للذائقة البلاغية الناقدة.

ومن ثم وجدنا شيخ البلاغيين ـ الإمام عبد القاهر الجرجاني ـ يعقد بابًا للموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد في كتابه دلائل الإعجاز يقول فيه:

«واعلمْ أنه إنما أُتِيَ القومُ مِنْ قِلَّة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلافِ العبارتَين على المعنى الواحد، وفي كلامهم في أَخْذ الشاعرِ مِنَ الشاعرِ، وفي أنْ يقولَ الشاعرانِ على الجملةِ في معنى واحدٍ، وفي الأَشعارِ التي دوَّنوها في هذا المعنى. ولو أنهم كانوا أَخَذُوا أنفُسَهم بالنظرِ في تلك الكتبِ، وتدبَّروا ما فيها حقَّ التدَبُّر، لكان يكونُ ذلك قد أيقظَهم مِن غفْلَتهم، وكشف الغطاء عن أعينهم»[(١)].

ولما كان هذا الباب كذلك، ورأيت كثيرًا من الباحثين في مرحلتي التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) يتعثرون عند تعرضهم للموازنة البلاغية بين نصين أو شاعرين، بل ربما عزفوا عن تلك الدراسات؛ هروبًا من الأصعب وإيثارًا للسلامة، وربما لغموض طريق الموازنات البلاغية أمام كثير منهم، لما كان الأمر كذلك كتبت هذا البحث بعنوان: «**أسس الموازنة**

(١) انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني:٤٨٩ المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

البلاغية بين النظرية والتطبيق» مستلهمًا تلك الأسس من تراثنا البلاغي من ناحية، ومن ممارستي العملية التطبيقية للموازنة البلاغية في رسالتي للماجستير، حيث كانت بعنوان: «الاعتذاريات بين النابغة الذبياني وعلي بن الجهم دراسة بلاغية تحليلية موازنة» ومن خلال مناقشاتي للرسائل التي كُتبت في الموازنات البلاغية، فوضعتُ فيه خلاصة تلك التجارب مدوَّنًا الأسس النظرية للموازنة البلاغية في فصل، ثم أتبعته بفصل آخر في الجانب التطبيقي على بعض النصوص، لأدعم الأسس النظرية بالتطبيق.

وقد وضعت في ذيل البحث خطة مقترحة . من وجهة نظري . للموازنة البلاغية، قد تصلح مع بعض الموضوعات وبعض الباحثين، وقد لا تصلح مع البعض الآخر، وقد تُعدّل بالزيادة أو النقصان، ويبقى الباب بكرًا مفتوحًا أمام الباحثين.

خطة البحث:

وهكذا يخرج البحث في صورة مقدمة، وتمهيد وقد اشتمل التمهيد على ثلاثة أشياء: أولها: المعنى اللغوي للموازنة، ثانيها: الموازنة عند البلاغيين، ثالثها: الدراسات السابقة، ثم تأتي الدراسة في فصلين: أحدهما لبيان الأسس النظرية للموازنة، والثاني نماذج تطبيقية، ثم الخطة المقترحة ثم الخاتمة فالفهارس.

ولا أتحدث عن الجهد والعنت الذي لاقيته في سبيل إعداد هذا البحث، كما لا أدعي أنني هنا أؤسس علمًا لم يسبقني إليه أحد، غاية الأمر أنني استلهمت أصوله وأسسه من تجاربي، ومن تراثنا البلاغي، وحاولت تأصيلها راجيًا من ربي أن تكون نبراسًا يضيء الطريق أمام الباحثين.

وبعد، فهذا جهد المقل، وبضاعة العاجز، أقدمها لعشاق العربية ومحبي البلاغة، سائلًا المولى ـ ﷻ ـ أن تنال رضاهم، وأن ينتفع بهذا العمل كاتبه وقارئه، وأن يكون في ميزان حسناتي وحسنات والديّ، فهو حسبي ونعم الوكيل، والله من وراء القصد.

د. تامر محمد حجازي

تمهيد

ويشتمل على:

أولا :المعنى اللغوي للموازنة

ثانيا : الموازنة عند البلاغيين

ثالثا : الدراسات السابقة

تمهيد

أولا :المعنى اللغوي للموازنة

الموازنة تعني : وضع الشيء إزاء نظيره لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف فيما بينهما، ومواضع التأثير والتأثر ورصد ذلك كله بدقة وتفسيره وتعليله.

قال في لسان العرب : «الوزن : ثَقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم ... ويُقال للآلة التي يوزن بها الأشياء: ميزان ... وأُنزل الميزان في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتُوزن به الأعمال ... ويُقال: وزن الشيءَ إذا قدّره ... ووازنت بين الشيئين موازنة ووزانًا، وهذا يُوازن هذا إذا كان على زنته أو كان مُحاذيَه ... وأوزان العرب : ما بنت عليه أشعارها، والميزان : العدل ووازنه : عادله وقابله .. ووزن الشيءُ : رجح.» (١)

ومن خلال التأمل في المعنى اللغوي للموازنة يتبين لنا أنها تكون بين الأشياء المادية المحسوسة كالحديد والحبوب وغيرها، وتكون كذلك بين الأشياء المعنوية كالموازنة البلاغية بين الشاعرين.

وإذا كان الوزن يعني: ثَقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم، فإن هذا يعني أن طرفي الموازنة يجب أن يكونا متناظرين متشابهين إلى حد ما في كثير من الجزئيات والتفاصيل حتى يتمكن الموازن من وضع كليهما على كفتي الميزان لترجيح أحدهما على الآخر أو مساواته به.

وإذا كان هذا ممكنًا في الموازنات المادية فإنه عسير وشاق إلى حد ما بل وغير متاح أحيانا في الموازنات البلاغية والأدبية بين الشعراء والأدباء وبين النصوص الأدبية المراد الموازنة بينها؛ وذلك لكثرة التفاصيل والجزئيات والمعاني الفرعية المنبثقة في المعنى الواحد عند طرفي الموازنة، وكذلك لتعدد وجهات النظر وتباين قدرات الموازنين من الباحثين والنقاد البلاغيين واختلاف الثقافات ووجوه التعليل والتفسير.

(١) لسان العرب لابن منظور : وزن دار الحديث . القاهرة

ويُستفادُ من قول ابن منظور: «ثقل شيء بمثله» ضرورة المشابهة والمناظرة ـ كما سبق ـ بين طرفي الموازنة، كأن يتحدا في الغرض أو العصر أو الوزن والقافية أو المخاطب أو بعض الألفاظ والمعاني والموضوعات الجزئية الخ.

وذلك يعني أن يكون بينهما وجه ما من وجوه الشبه والمناظرة، فلا يُعقل أن يعمد باحث للموازنة مثلًا بين شاعرين أحدهما جاهلي والآخر عامّيّ عاش في عصرنا الحديث، أو أحدهما ينظم شعره ملتزمًا بعمود الشعر العربي والآخر يتحلل من قيود الوزن والقافية، فيخرج لنا شعرًا أشبه بالنثر الموزون وهو ما يُعرف بالشعر الحر، كما لا يعقل أن يوازن باحث بين شاعرين أحدهما في غرض الفخر والآخر في غرض الهجاء.

وهذه بدهيّات ومُسلّمات وأبجديّات للموازنة البلاغية لا يجوز تجاوزها أو التغافل عنها.

وإذا كانت الآلة التي يوزن بها الأشياء المادية هي الميزان، فإن الموازن البلاغي بين النصوص والشعراء ينبغي أن يكون لديه ميزان حسّاس للحكم على الطرفين، وهذا الميزان له قواعده وأصوله التي يستنبطها هذا البحث – بعون الله تعالى – من خلال ما ورد من موازنات بلاغية في تراثنا العربي قديمه وحديثه.

ثانيا : الموازنة عند البلاغيين

إذا نظرنا إلى مصطلح الموازنة كمصطلح في كتب البلاغيين وجدناه يدور في معظمها حول الموازنة التي هي محسن لفظي .

يقول ابن الأثير:

"النوع الخامس: في الموازنة ،وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنا، وللكلام بذلك طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال لأنه مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه لوضوحه ، وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها فيقال إذا: كلُّ سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة "[١]

وقد عقد ابن أبي الإصبع المصري بابا في كتابه تحت عنوان : باب الموازنة، عرفها فيه كفن بديعي ومحسن لفظي بنحو من تعريف ابن الأثير السابق[٢]

فالموازنة عند البلاغيين من المحسنات اللفظية، وتدخل في باب الصناعة

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١/ ٢٧٣المؤلف : أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي الناشر : المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٩٥تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد .

(٢) انظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري : ٣٨٦ تحقيق د حفني محمد شرف الجمهورية العربية المتحدة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

اللفظية[1].

ولما كان الأمر كذلك فقد قيدت الموازنة بـ"البلاغية" حتى يتضح المقصود منها وهي تلك الموازنات التي تكون بين الشعراء وبين النصوص الأدبية.

وقد استغنى الآمدي عن هذا القيد في موازنته بين الطائيين؛ لذكره البينية، وهو يعد أول من فتح هذا الباب وخصه بمؤلف مستقل .

وإذا نظرنا إلى مناهج الموازنة البلاغية في البحث العلمي في عصرنا الحاضر وجدناها على اتجاهين :

- **الاتجاه الأول:** يعمد فيه الباحث إلى تحليل النتاج العلمي أو الأدبي لأحد طرفي الموازنة أولًا، تحليلًا بلاغيًا دقيقًا متتبعًا دقائق النظم وأسرار البلاغة لكل فنون البلاغة الواردة في النصوص، ثم يقوم بنفس العمل مع الطرف الآخر للموازنة ثم يعقد فصلًا ثالثًا للموازنة بينهما.

وهذا المنهج يعتمد على الدراسة البلاغية التحليلية الموازنة، أي أنه يجمع بين التحليل أولًا ثم الموازنة ثانيًا.

- **ومن حسناته:**

– أنه أكثر جدوى ونفعًا مع طالب الماجستير «التخصص» ؛ حيث يأخذ بيديه إلى طريق التحليل البلاغي والغوص في القاع لاستنباط الأسرار ومراجعة قواعد البلاغة عمليًا، فيقوي ساعده، ويشُدُّ عوده، وينمي ذوقه البلاغي، من خلال الدُّربة وإدمان النظر في النصوص للوقوف على أسرارها وخباياها.

- **ومن حسناته:**

– أنه يجنب الباحث الوقوع في مشكلة تجزئة القصيدة الواحدة وبعثرة معانيها وفقراتها، فيقوم بتحليلها مقسمًا لها إلى أفكار مترابطة وفقًا لترتيب القصيدة، كما وردت على لسان الشاعر وكما انصهرت في نفسه ووجدانه،

(١) انظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د أحمد مطلوب : ٣ / ٣٢٣ الدار العربية للموسوعات الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م

ويحلل الصور البلاغية ووسائل النظم الواردة في البيت دفعة واحدة بما يخدم التحليل ويعصمه من الوقوع في هلهلة القصيدة وتفريق وتشتيت أجزائها.

- **ومن حسناته كذلك:**

– أنه ينير طريق الموازنة أمام الباحث، فيستطيع من خلال التحليل السابق أن يقف على مواضع التشابه والتناظر فيما خفي ودق من أمور البلاغة، ومواضع المفارقة والاختلاف، ثم يضع ذلك كله نصب عينيه في موازنته، من خلال الجمع والإحصاء لما سبق دون تكرار التحليل، وإنما يكون دوره هنا هو التفسير والتعليل والتوجيه والموازنة والترجيح .

وطريقة الإحصاء والحصر تكون بأن يعمد الباحث إلى ما حلله من قصائد للطرفين، فيقرأه قراءة متأنية وقد أحضر وريقات بيضاء دوّن فيها عناوين أبواب البلاغة، التشبيه الاستعارة القصر .. الخ ويدون ما يعن له أثناء قراءته في مكانه وموضعه مخصصًا شق الورقة للطرف الأول، وشقها الآخر للطرف الثاني، وهكذا ينتهي من عملية الجمع والحصر والإحصاء ثم يقوم بالتعليل والتفسير والموازنة.

- **ومن عيوب هذا المنهج:**

أنه يطيل البحث العلمي، لاسيما إذا كان الباحث كحاطب الليل، يجمع الغث والسمين ولا يفرق بين المفيد وغير المفيد، ومع طول البحث ينقطع نفس الباحث في التحليل ،فإذا وصل إلى الموازنة تجده كلّ وملّ، لاسيما إذا كان ضعيفًا.

- **ومن عيوبه كذلك:**

أنه قد يوقع الباحث المضطرب في التكرار السمج، إذا لم يكن خبيرًا بأدوات الموازنة محترفًا في جمع المفيد وترك غيره.

- **الاتجاه الآخر:**

وفيه يعمد الباحث إلى الموازنة البلاغية مباشرة بين النصين أو الشاعرين دون تحليل بلاغي لنتاجهما، وإنما يجعل التحليل البلاغي خادمًا للموازنة،

ووسيلة لإظهار مواطن التشابه والاختلاف والترجيح والمساواة الخ. وهو منهج سوي مستقيم.

- **ومن حسناته:**

أنه يُنقّي البحث من الترهُّل والحشو والطول المفرط والتكرار المُملّ ويقوي عود الباحث الجاد المتمكن من الوثوب إلى غرضه مباشرة وهو الموازنة البلاغية بمنهجية وحيادية ؛ حيث يوظف البلاغة والتحليل لخدمة الموازنة .

- **ومن عيوب هذا المنهج:**

أنه لا يصلح لكل الموازنات البلاغية، فقد يصلح مثلًا إذا تناول الباحث غرضًا كاملًا معينًا كالفخر أو الهجاء أو غيرهما بين الشاعرين، حيث يجد مساحة واسعة للموازنة بين المعاني التي اتفق فيها الشاعران وتلك التي انفرد بها كل شاعر.

بخلاف ما إذا كانت الموازنة مثلًا بين قصيدتين أو نصين محددين، فقد لا تتاح الفرصة أمام الباحث لاستخدام هذا المنهج، فهو إذا مُضطر للتحليل أولًا ثم الموازنة لضيق المساحة أمامه.

- **ومن عيوب هذا المنهج:**

هلهلة الشعر وتجزئة القصائد والنصوص واقتطاع الصور البلاغية من سياقها، حيث إن الباحث مُضطر لذلك، لأنه معنيٌّ هنا بجمع المتناظرات، وربما يضل في متاهات النصوص، ويختار أشياء لا ترابط بينها، وما أوقعه في ذلك إلا ترك التحليل البلاغي لقصائده أولًا .

ولذلك فإنني أميل إلى المنهج الأول لما سبق من مميزاته، ولأن المنطق يقتضي إذا دُعيت للحكم بين خصمين أن تسمع منهما أولًا، كل خصم على حدة، وتدون أهم النقاط، ثم تخلو بنفسك أو بمن معك من الحكماء للتفاوض والتشاور وتحليل النتائج وتقييمها وتعليل الأحكام وتفسيرها ثم الوصول إلى الحكم العادل، ولا يقبل العقل حكمًا قبل سماع الطرفين وتحليل كلامهما، وهذا هو عين ما ينطبق على الموازنة البلاغية .

ومن ناحية أخرى فإن التحليل البلاغي يعد دراسة كاشفة لخبايا الشاعرين، وكم في الزوايا من خبايا، يطلع من خلاله الباحث على الثغرات ومواطن الضعف والقوة ويكون مُفعما بالنصوص مستحضرًا لها في نفسه وحسه معايشًا لها، وهذا ما يجعل مهمة الموازنة البلاغية بعد ذلك هينة سهلة القياد.

- **الخلاصة:**

إن هذه وتلك مدارس للموازنات البلاغية، والباحث في الموازنات البلاغية يسير وفق منهج أستاذه، ولكل وجهة هو موليها، وكل منهج له وعليه، والمهم في النهاية هو إخراج بحث جيد والوصول لنتائج محددة .

والناقد البلاغي في باب الموازنة البلاغية ينبغي أن يكون صاحب يد بيضاء نظيفة عادلة، تصدر أحكامها بموضوعية وعدالة وحيادية، بعيدا عن التعصب لأحد طرفي الموازنة على حساب الآخر ؛ يقول الآمديُّ في مقدمة كتابه : «وقد رسمتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة، وأحسن في اعتماد الحق وتحري الصدق وتجنب الهوى المعونة بمنه ورحمته.» [1]؛ وذلك لأن الناقد الموازن نصّب نفسه قاضيًا بين الاثنين، فلا بد أن يكون عادلًا في الحكم بينهما، مقابلًا لأحدهما على الآخر مبرزًا ما لكل منهما وما عليه، ومبينًا مواضع التقصير مثل مواضع الإجادة والإتقان.

(١) انظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ): تحقيق/ السيد أحمد صقر : ١/ ٣ . دار المعارف – الطبعة الرابعة . سلسلة ذخائر العرب.

ثالثا : الدراسات السابقة

١ ـ موازنة الآمدي، وهي معنية بالفصل بين الطائيين: البحتري وأبي تمام وقد أورد الكاتب فيها حجج أنصار كل منهما والرد عليها وأكثر من الشواهد التي يضعها في المعنى الواحد ليوازن بينهما، حتى يمكن القول بحق إنها أم هذا الباب.

٢ . الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني

وقد ذكر في مقدمتها اختلاف الناس حول المتنبي بين مادح وقادح، ثم بين أن العيب والخطأ طُبع عليه بنو البشر حتى الجاهليين الذين نعتقد عدم وقوعهم في الخطأ يخطئون وذكر أمثلة لذلك من شعر امرئ القيس وغيره ثم قال: «وليس يجب إذا رأيتني أمدح محدَثاً أو أذكر محاسن حضَريّ أن تظن بي الانحرافَ عن متقدم، أو تنسُبني إلى الغضّ من بدوي؛ بل يجب أن تنظر مغْزاي فيه، وأن تكشف عن مقصدي منه، ثم تحكم عليّ حكم المنصف المتثبت، وتقضي قضاء المُقسِط المتوقّف» [(١)].

٣ ـ وقد عقد العلامة أبو هلال العسكري في كتابه القيم: الصناعتين فصلًا وهو الفصل الأول من الباب السادس في حسن الأخذ بين فيه أن الآخذ قد يفوق من أخذ منه في حسن التأليف وجودة التركيب، وأن المعاني مشتركة بين العقلاء، وذكر أمثلة كثيرة لحسن الأخذ، ثم أتبعه بالفصل الثاني من الباب السادس وذكر فيه قبح الأخذ وذكر أمثلة كذلك وجميعها تستحق الدراسة، وتحتاج إلى باحث جاد يوازن بين تلك الأبيات [(٢)]

٤ـ وفي كتاب شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني يعقد بابًا في الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد، يذكر فيه غفلة الناس في العزوف عن

---

(١) انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١ـ١٥ المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري : ٢١٧ـ٢٥٧ تحقيق الدكتور / مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م

النظر في الكتب التي تُعنى بهذا، ثم يورد جملة من الشعر الذي قال فيه الشاعران في معنى واحد ويقسمه قسمين: «قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غُفلًا ساذجًا، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتُعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور»(١)

ثم يورد الإمام أمثلة كثيرة لذلك، وهي تعد من الموازنات الصامتة، وتحتاج كذلك لدراسة مستقلة، وقد قام أستاذنا الدكتور العلامة: سلامة جمعة داود بدراسة جزء من هذه الأبيات .

٥. في العصر الحديث تجد الموازنة بين الشعراء لزكي مبارك.

وقد تحدث فيها عن ضرورة تحلي الباحث بالموضوعية والبعد عن التعصب للمذهب، والخضوع لغير مقاييس البلاغة، فالنقد نوع من القضاء، وقد وازن فيها موازنة أدبية بين بعض الشعراء في بعض القصائد كالبحتري وشوقي، وشوقي والبوصيري.(٢)

٦ ـ الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، ا د/ كمال عبد الباقي لاشين، دار البصائر بمصر الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

٧ ـ دراسة حديثة تطبيقية نظرية قام بها أستاذنا العلامة ا د سلامة داود بعنوان: من أصول الموازنة قراءة في شواهد الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد في كتاب دلائل الإعجاز، وهو منشور في كتاب ندوة البلاغة العربية سؤال الهوية وآفاق المنهج أقيمت بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى بمكة المكرمة من ١٨-٢٠ /٣ /١٤٣٢هـ.

وقد درس فيها سيادته القسم الأول من قسمي الإمام عبد القاهر اللذين ذكرهما، وهي دراسة معنية باستنباط المقاييس وأصول الموازنة من خلال استعراض الأبيات التي ذكرها الشيخ في القسم الأول، وقد استنبط سيادته خمسة مقاييس للموازنة البلاغية.

---

(١) دلائل الإعجاز : ٤٨٩ ـ ٥١٠

(٢) انظر : الموازنة بين الشعراء د / زكي مبارك صفحات : ١١٣،١٦،١٥،١٣ دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م

الفصل الأول

الأسس النظرية للموازنة البلاغية

الفصل الأول

الأسس النظرية للموازنة البلاغية

عند ولوج الباحث باب الموازنة البلاغية يجد نفسه قد وقف على حافة بحر عميق متلاطم الأمواج، لا يدري له نهاية ولا يرى له شطآنًا، ولا يعرف وسائل النجاة فيه، وهو حينئذ لابد أن يكون حذرًا كل الحذر حتى لا يعرض نفسه للغرق بين النصوص، ومن ثم يصدر أحكامًا عقيمة جوفاء، أو يقتصر عمله على الجمع بين النصين ووضع هذا بإزاء ذاك والاكتفاء بالتعليق عليهما بعبارات جوفاء.

وقد يقع الباحث الموازن في بحر حيرة من أمره، لا يدري ماذا يكتب؟ وكيف يوازن؟ وبم يعلق؟ وهو حينئذ يُسوّغ لنفسه أن يكتب ما يخطر بباله، وكأنه يسُدُّ فجوة أو يملأ فراغًا يجب عليه إتمامه بأي شكل، فتجد سيلًا منهمرًا من العبارات المضطربة الهزلية، والجمل العبثية التي لا ترقى بحال من الأحوال إلى مستوى باحث بلاغي يوازن بين نصين.

وكثير من الباحثين يضع نصب عينيه عند الموازنة رسالة أو بحثًا كُتب في الموازنات البلاغية يسير على هداه حذو القُذّة بالقذّة، حتى لو دخل الباحث جحر ضب لدخله وراءه، وهو بذلك يقتل في نفسه ملكة الإبداع من ناحية، ويُخرج لنا عملا مُشوّها مُضطربا مسخا شائها لغيره من ناحية ثانية، وقد نسي أن لكل بحث ولكل موازنة طبيعة خاصة تختلف عن غيرها، وهذا التقليد الأعمى هو إحدى مُعوّقات البحث البلاغي في هذا الزمان .

إن التأثير والتأثر شأن إنساني عام لا يمكن تجاهله أو إبطاله، ولكنه ينبغي أن يكون بقدر، وأن يكون مقتصرًا على الاستفادة من الغير في بعض الأُطُر العامة والمفاهيم الكلية، مع الإضافة إليها بما يتوافق مع بحثك وبما يجعل لك شخصيتك المميزة الفريدة، ويجعل عملك خاصًا بك وليس منقولًا من غيرك.

أقول هذا في الوقت الذي أقول فيه إن الباحث الموازن في باب الدراسات

البلاغية الموازنة، ينبغي له أن يقرأ كل ما كُتب عن الموازنة بداية من موازنة الآمدي ووساطة الجرجاني وغيرهما، وأن يطلع على كل الدراسات البلاغية الموازنة، وأن يستفيد منها لا أن ينتهج سياسة القص واللصق الشائعة في هذا الزمان.

من أجل هذا كله رأيت أن أضع في هذا الفصل الأسس النظرية للموازنة البلاغية والتي أرجو من الله أن تكون نبراسًا للباحثين يضيء لهم الطريق.

ويمكن سرد تلك الأسس النظرية إجمالاً فيما يأتي:

١- حصر مواضع التشابه ومواضع الاختلاف:

وأقصد بذلك الموضوعات والمعاني التي اتفق الشاعران فيها، فإذا كان الموضوع في المدح مثلا فقد يتفقان في المدح بالكرم والشجاعة والمروءة والحلم والسماحة ..الخ، وقد ينفرد أحدهما بالمدح بالحسب والنسب وطيب الأصل، وينفرد الآخر بالمدح بعزة النفس والأنفة إلى غير ذلك .

فعلى الباحث أن يدون ذلك كله «وهو ما يُعرف برصد الظاهرة » ثم يقوم باستنباط العلل ووجوه التفسير لما اتفقا فيه ولما انفرد به كل منهما، مراعيا اختلاف ظروف كل شاعر وأحواله النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية، ومقام القصيدة ومن خوطب بها.. إلخ، «وهو ما يُعرف بتفسير الظاهرة».

٢- دراسة حياة الشاعرين دراسة تامة:

وهذا يقتضي الوقوف علي كل ما يتصل بهما، وعلاقتهما بمن يتحدثان عنه وهذه مهمة جدا لاسيما في مقام الرثاء، لبيان أثر العاطفة قوة وضعفًا، وعلى الباحث أن يتلمس ويتتبع الخطوط العريضة في حياة كل شاعر والتي كان لها أثر واضح في حركاته وسكناته وانفعالاته، فالمتنبي مثلًا معروف بالخيلاء وقوة الاعتزاز بنفسه، وهذا ملمح عام في شخصية الرجل لا ينبغي التغافل عنه عند دراسة نتاجه وتفسيره، وأبو نواس كان مشهورًا بالخمريات، والنابغة الذبياني كان مشهورًا باعتذاره للنعمان بن المنذر، وهكذا.

٣. حصر وتحديد النتاج الأدبي:

وأقصد به النتاج المراد الموازنة بينه عند طرفي الموازنة «عدد القصائد، عدد الأبيات، عدد النصوص» ودراسة هذا النتاج دراسة بلاغية تحليلية، يقف الباحث من خلالها على الخبايا والأسرار التي تشتمل عليها كل قصيدة .

ويتعلق بذلك حصر الشخصيات التي يتحدث عنها الشاعران مدحًا أو رثاءً أو غيرهما، وأيهم أكثر حظًا أو نصيبًا، ومن اشتركا في مدحه، وعدد القصائد التي وردت في الموضوع، وهي الرقعة التي يتحرك فيها الشاعران، ثم هل ستقوم بدراستها كاملة أم تختار نماذج؟ وما الأسس التي تختار عليها نماذجك ؟ وهنا ننبه إلى أمر غاية في الأهمية وهو أن الباحث غالبًا ما يعمد إلى اختيار نماذج عشوائية لا تحيط بموضوع الدراسة، وهمه أن ينتهي من بحثه، أقول: البحث العلمي ليس مهمة نرغب في التخلص منها والتخفف من ثقلها، وإنما هو أمانة ومهمة عظيمة نسير معها منذ ولادتها سيرًا حثيثًا بصدق ودقة وأمانة وإخلاص حتى نستوفي جوانبه، ونخرج بنتائجه المرجوّة منه، ولذلك إذا اخترت نماذج لطول المادة العلمية، فعليك أن تكون نماذجك وافية تغطي الغرض المطلوب دون إخلال، مع مراعاة أن تعمد إلى المتروك فتستخلص منه أهم الفروق والانفرادات وأوجه الاتفاق ومميزات النظم وتثبت ذلك كله في الموازنة .

٤. تحديد نوع ومساحة الموازنة:

هل هي بين شاعرين في محاسنهما ومساوئهما، جيدهما ورديئهما، بين غرضين، بين قصيدتين، بين نصين .. إلخ؟ يقول الآمدي : «وأنا أبتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين؛ لأختم بذكر محاسنهما، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام، وإحالاته، وغلطه، وساقط شعره، ومساوي البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام، وغير ذلك من غلطٍ في بعض معانيه، ثم أوزان من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنىً؛ فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتنكشف، ثم أذكر

ما انفرد به كل واحد منهما فجوّده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد بابًا لما وقع في شعريهما من الشبيه، وبابًا للأمثال، أختم بهما الرسالة، وأتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم؛ ليقرب تناوله، ويسهل حفظه، وتقع الإحاطة به، إن شاء الله تعالى.» (١)

وكلما ضاقت الدائرة كان أنفع للباحث في الإحاطة بكل جوانب موضوعه والإلمام بها، فإن اتسع الأمر كأن تكون الموازنة بين غرضين فعلى الباحث أن يقرأ كل غرض على حدة قراءة متأنية ثم ينتقي من قصائده ما يغطي غرضه دون تقصير أو إخلال، ويكون انتقاء النماذج على أسس ثابتة معينة، كطول القصائد أو قصرها، وقوة العاطفة أو ضعفها، وكثرة الصورة البلاغية وانتشارها إلخ ويفضل الإحاطة بكل النتاج الأدبي موضوع الموازنة.

٥ - قراءة كل ما كتب عن موضوع الموازنة:

وكل ما كتب عن الشاعر، أو القصيدة، أو الغرض، وهذا مهم جدًا «وهو ما يُعرف بالدراسات السابقة»؛ حيث إنها تضيء الطريق أمام الباحث، وتجعله يبدأ من حيث انتهى الآخرون.

وقد سبقت الإشارة إلى الدراسات السابقة في التمهيد (٢)

٦ـ التمييز بين المعاني والموضوعات التي طرقها الشاعران، والأساليب البلاغية:

كالتشبيه والاستعارة إلخ، بحيث يعقد لكل منهما فصلًا مستقلًا، فالمعاني هي روح الشعر، والأساليب البلاغية هي جسد الشعر، فعليه أن يميز بين الروح والجسد، وأن يوظف الجسد لخدمة الروح، ويبين براعة كل شاعر في حسن توظيف الأساليب البلاغية داخل إطار المعنى الواحد، ومدى اتفاقهما أو تفوق أحدهما على الآخر في ذلك.

---

(١) الموازنة للآمدي : ١ /٥٧

(٢) انظر ص :١٥ ، ١٦ ،١٧

٧ـ التمييز بين المعاني الكلية العامة والمعاني الجزئية:

الفرعية الخاصة، ومدى براعة كل منهما على الإجمال والتفصيل، فمثلًا: تحدث الشاعر هنا في مقام المدح وهو معنى كلي عام، فتناول معاني جزئية فرعية في ثنايا مدحه، كالمدح بالشجاعة والمروءة والكرم .. إلخ .

وقد يصير المعنى الجزئي كالمدح بالشجاعة معنى كليًا بالنظر إلى ما يشتمل عليه، كأن يكون المدح بالشجاعة يشتمل على: الشجاعة في الحروب، الشجاعة في قول الحق، الشجاعة في مواجهة السلطان الجائر، الشجاعة في إنصاف المظلوم .. إلخ.

٨ـ التمييز بين المعاني الإنسانية والمعاني الموضعية :

فهناك معان إنسانية عامة تعارف عليها البشر لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، وهي أشبه بالحكم الإنسانية، وورودها في مقام الحديث عن شخص معين يحسب للشاعر ويُضاف لحسناته، حيث اقتدر خلال حديث خاص بآحاد الناس أن يجعل كلامه عاما يخاطب به هذا الشخص وغيره، ومن ثم يبقى كلامه خالدًا على مر الزمان واختلاف الأيام وتنوع المكان. ومن ذلك قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر وهو يعتذر إليه:(١)

ولست بمُسْتبق أخًا لا تلمه على ... شعث أي الرجال المهذبُ؟

فالرجل يخاطب ملكًا ويعتذر إليه ويقول له: إذا عاتبت صديقك دائمًا وحرصت على ألا تصادق إلا الخلصاء من المعايب فلن تبقي على ود أحد، وسوف تعيش حينئذ وحدك، وهو معنى إنساني عام يتفق عليه البشر ويستل العفو من النعمان .

وهناك معان موضعية خاصة كمدح الممدوح بأشياء وقعت له في حياته خاصة به لا تتعداه إلى غيره، وهي معان مقصورة على شخص معين أو زمان محدد، وهي في الغالب تنتهي بانتهاء الحدث.

(١) ديوان النابغة الذبياني ت محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف : ٧٤

ولا شك أن ورود المعاني الإنسانية أكثر عند أحد طرفي الموازنة يرفع كفته، ويعلي قدحه على نظيره ؛ لأن المعاني الإنسانية خالدة على مر الزمان واختلاف المكان، فهي متداولة في كل عصر لا يختلف عليها الناس، ومن ثم يصبح نتاجه أكثر شيوعا واستشهادا وتداولًا.

٩- عدم توسيع دائرة الموازنة:

بمعنى أن تكون المادة العلمية «النصوص» محدودة، حتى يتمكن الباحث من التعمق فيها وإدارة أطراف الموازنة بعناية ودقة وإحكام، وحتى لا يقع في مشكلة اختيار نماذج، فبعض الباحثين يجنح إلى التوسع في دائرة الموضوعات المختارة زعما منهم أنهم بذلك يجوّدون بحوثهم، فيقع الباحث في حيرة اختيار النماذج من المادة العلمية موضوع الدراسة، فيترك الكثير ويدرس القليل، ويختار نماذج عشوائية، ويخرج لنا بحثًا مُشوّهًا وموازنة عرجاء، والأصل في البحث العلمي أن يكون رأسيًا وليس أفقيًا، بمعنى أن يتناول البحث فكرة صغيرة محددة المعالم، يتعمق فيها ويستوفي جوانبها ويمنحها حقها من البحث والدراسة، وهذا ما يتوافق مع المعنى اللغوي لكلمة «بحث» ويحدد نصوصه المراد الموازنة بينها، فكلما ضاقت الدائرة زاد العمق، وكلما اتسعت الدائرة كثر الاضطراب، وتاهت الفكرة، واتسع الخرق على الراقع.

١٠- كثرة قراءة النصوص المراد الموازنة بينها:

وتكرارها حتى تُحفظ، وتحليل الكلمات واستخراج معانيها من كتب اللغة والمعاجم والدواوين، وتأمل هذه المعاني ومحاولة استنطاق النصوص، والوقوف على ما فيها من مسائل البلاغة المختلفة، بحيث يضع الباحث يده عليها إجمالًا ويقترب منها شيئًا فشيئًا، ويصير مُفعمًا بالمعنى والمقام ومدركًا لمسائل البلاغة المنتشرة في ثنايا النصوص.

وهذه المرحلة مهمة جدًا قبل الولوج في التحليل البلاغي والموازنة، والكتابة عموما تحتاج من الباحث أن يكون مُفعمًا بما يريد كتابته حتى إذا كتب وشرع في النسخ كان قلمه سيَّالًا مُتدفّق الأفكار.

١١- عند بداية الموازنة يحدد الباحث الموضوعات العامة:

التي وردت عند طرفي الموازنة وما اشتمل عليه كل موضوع من معان جزئية وتفصيلات فرعية، ويحصر ما اتفقا فيه من معان، ويبدأ بوضع عنوان خاص لكل معنى اتفقا عليه، بحيث يشتمل على مجموع المعاني الجزئية عند الشاعرين، ثم يعرض تحليله لكيفية تناول المعنى الواحد عند الشاعرين بلباقة وتركيز وفهم وتعليل علمي وتفسير منطقي مقنع، ولا يتغافل عن الظروف النفسية والبيئية والحياتية لكل شاعر، وعليه أن يحدد العلاقة الواضحة بين تناوله للمعنى وبين العوامل المؤثرة في نشأته وثقافته وعلاقاته .. إلخ، ومردود ذلك وانعكاسه على معانيه، وبالمثل يفعل ذلك مع الطرف الآخر مبرزًا الأثر الناتج عن ذلك كله في تمايز واختلاف طريقة النظم والعرض داخل إطار المعنى الواحد، ومن البدهي أن أحد الطرفين لن يكون نسخة مكررة من الآخر، فعليه أن يبرز تلك الفروق ويبين الاختلاف والتمايز بين الطرفين.

ثم يعمد إلى المعاني التي انفرد بها كل شاعر ويوضحها مرتبة، ويفسر لنا مجيئها عند كل شاعر على حدة، مراعيًا ما سبق من مؤثرات بيئية ونفسية .. إلخ.

١٢- وقد يكون طرفا الموازنة متعاصرين:

وقد يكونان عاشا في عصرين مختلفين، وكل عصر له سماته النقدية الخاصة به، فعلى الباحث أن يقيس كل واحد بسمات ومقاييس عصره الذي عاش فيه، وظروفه الحياتية، ولا يقيسه بظروف عصر الآخر، وقد يكون أحدهما سابقًا والآخر لاحقًا، فعليه أن يراعي أن للسابق فضل ابتكار المعنى إن كان مُبتكرًا لم يُسْبقْ إليه، أو يشير إلى من سبقه في هذا المعنى، ومن تأثر به ممن جاء بعده، وكيف تناوله اللاحق وزاد فيه أو نقص إلخ.

١٣- كثرة الشعر وجودته وطول القصائد وقصرها:

وهذا المبدأ أرساه ابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣٢هـ، في كتابه : طبقات فحول الشعراء، إضافة إلى مبدأ الفحولة والشهرة، حيث جمع

المتناظرين والمتشابهين في المذهب الشعري في إطار واحد، ووضع الكم والكيف أحيانا أساسا من أسس الموازنة، ويوازن كذلك على ضوء رحابة الرقعة التي يتحرك فوقها الشاعر أو ضيقها، مع رفض للتعصب العرقي والإفراط في المبالغة، كما يتخذ غزارة شعر الشاعر وندرته وفيض الشاعرية وغيضها أساسًا من أسس الموازنة (١)

فالموازن البلاغي عليه أن يراعي جانب الكثرة والقلة والطول والقصر وعدد الأبيات والقصائد عند طرفي الموازنة، فالكثرة والطول والإجادة عند شاعر قد تكون مؤشرا للإتقان والتفوق والتمكن من أدوات قريضه، وقد تكون مؤشرا للضعف والهبوط والسقوط، فرب مُقل أبلغ من مكثر، والبلاغة الإيجاز والمهم هو عدم التقصير في المعنى المراد.

١٤- تأسيس معنى جديد وابتكار طريق بديع:

والمراد بهذا الأساس أن يكون الشاعر صاحب مدرسة فنية مستقلة، يُؤسس من خلالها طرقًا متعددة للمعاني لم يسبق إليها، وهذا يحتاج إلى طول بحث واستقصاء للمعاني التي يتناولها الشعراء .

فقد يبتدع الشاعر طريقًا فنيًا لم يسلكه أحد قبله، ويكون رائد هذا الطريق كابتداء امرئ القيس الوقوف والاستيقاف والتبكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وتقييد الأوابد وإجادة التشبيه ..إلخ

يقول ابن سلام : «فاحتج لامرئ الْقَيْس من يقدمهُ قَالَ مَا قَالَ مَا لم يَقُولُوا وَلكنه سبق الْعَرَب إِلَى أَشْيَاء ابتدعها، واستحسنتها الْعَرَب واتبعته فِيهَا الشُّعَرَاء: استيقاف صَحبه، والتبكاء فى الديار، ورقة النسيب، وَقرب المأخذ، وَشبه النِّسَاء بالظباء وَالْبيض، وَشبه الْخَيل بالعقبان والعصى، وَقيد الأوابد، وأجاد فِي التَّشْبِيه، وَفصل بَين النسيب وَبَين الْمَعْنى» (٢)

(١) قضايا نقد الشعر في التراث العربي د / محمد أحمد العزب١/ ١٣٣- ١٤٨

(٢) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ) : ٥٥/١ تحقيق: محمود محمد شاكر . دار المدني – جدة

فعلى الناقد الموازن أن يُثبت فضل السبق إلى ابتكار المعنى لصاحبه وألاّ يُغفل هذا الأمر، وهذا أمر لا يتحقق بالتخمين والظن ولا يمكن البت في مثل هذه الأحكام النقدية من ذات نفسه، بل عليه استقصاء المعاني وتتبع تطورها في ديوان العرب بدقة وعناية وإتقان، حتى إذا أصدر حكمًا لأحد الشعراء بالأسبقية في هذا المجال أو في تأسيس المعنى كان صادقًا.

فإذا وجد من خلال بحثه أن فلانًا سبقه إلى هذا المعنى فعليه أن يُثبت ذلك، وقد يوازن بين اللاحق والسابق، ولو لم يكونا من طرفي الموازنة، والمهم هو المعنى الذي يدير عليه رحى نقده.

١٥- الصدق التاريخي والصدق الفني:

والمراد بالصدق التاريخي ألاّ يكون الشاعر مُزيّفا لحقائق التاريخ، وأن يكون صادقا في رصده بدقة وموضوعية وحيادية بعيدًا عن الخواطر والميول والأهواء، والمراد بالصدق الفني أن يكون الشاعر صادقا مع نفسه فهو صدق العاطفة وصادقًا في نقل مشاعره وأحاسيسه، حتى ولو كانت على غير مراد مخاطبه، فعلى الموازن البلاغي أن يقف مع ذلك كله ويغوص في أعماق نفس الشاعرين، ويتتبع سردهما للأحداث ويبين مدى مطابقة ذلك كله للواقع أو مخالفته.

١٦- موضوعية الباحث:

أو ما يمكن أن نسميها برفض التعصب العرقي والإفراط في المبالغة، بمعنى أن يقف الباحث ممن يوازن بينهم على حد سواء فلا يظلم أحدًا على حساب رفع الآخر، ولا يكيل آيات الثناء والمدح لأحد مبالغًا في الثناء عليه واستجادة شعره إلا إذا كان يستحق ذلك ويورد الدليل والبرهان على كلامه، ولا يعني رفع الشاعر في موضع ألا يكون مقصرًا في مواضع أخرى، فالفيصل في النقد هو ما بين أيدينا من نتاج أدبي ومؤثرات.

١٧- الطبع والتكلف:

على الموازن أن يتلمس بحسه وذوقه البلاغي وأدوات نقده مدى كون

الشاعر مطبوعًا في كلامه بعيدًا عن التكلف والافتعال من خلال لغته وعاطفته وأسلوبه وتشبيهاته واستعاراته وتصويره عمومًا، أو أنه متكلف في أسلوبه جاف في تصويره، ومن ثم ينعكس ذلك على صدق العاطفة والواقع.

١٨- الجانب الأخلاقي:

وهو مهم جدًا فعلى الموازن البلاغي ألا يغفل هذا الجانب وأن يجعله مبدأ رئيسًا في نقده البلاغي لشاعريه، وألا يعبأ بالدعاوى التي تقول إن الشعر شعر وفن لذاته بغض النظر عما يشتمل عليه من أخلاقيات أو غيرها، فالنتاج الأدبي في الأصل هو غذاء للروح، ومن ثم ينبغي أن يكون طاهرًا.

١٩- استقطاب كامل لإبداع الشاعر:

دون إغفال لبعض جوانبه، إذا كانت الموازنة بين شاعرين، أو للغرض الشعري، إذا كانت الموازنة بين غرضين، وألفت انتباه الباحثين جيدًا إلى هذا الأمر، وأؤكد عليه، حتى لا يتسرع الباحث في إصدار أحكامه النقدية على ما بين يديه دون تثبت أو إحاطة بكل جوانبه، ومن ثم تأتي الأحكام جزئية وربما تكون بعيدة عن الصواب بسبب التسرع وعدم الأناة في تتبع النتاج الأدبي واستقطابه، وإطالة النظر فيه.

٢٠- تتبع المعاني معنى معنى:

وبابًا بابًا كما فعل الآمدي في موازنته وتصنيفها والموازنة الجيدة المتأنية بين طريقة كل شاعر في تناول المعنى الواحد.

يقول الآمدي: «وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان؛ وأوزان بين معنى ومعنى، وأقول: أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه، فلا تطالبني أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق، فإني غير فاعل ذلك؛ لأنك إن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد»[(١)].

(١) الموازنة للآمدي : ١/ ٤١٠

٢١ـ القدرة على إقناع العقل والتأثير في المخاطب:

من نقاط التمايز بين طرفي الموازنة أن يكون أحدهما قادرا على التأثير في مخاطبه وإقناعه، فلكل إنسان قدرات مختلفة عن الآخر، فتجد بعض الناس يحدثك حديثا ربما يكون كاذبًا لكنه يمتلك أدوات للقدرة على إقناعك بتصديقه والتسليم له، وتجد آخر يحدثك حديثًا هو صادق فيه لكنه بطريقته المضطربة في الخطاب قد يثير فيك الشكوك والظنون في صدق حديثه، والباحث الجيد هو من يستطيع أن يميز بين هذا وذاك، وأن يعرف الصادق من الكاذب، من خلال معايشته لشاعريه والغوص في نفس كل منهما ومعرفة قوة العاطفة وضعفها، والشاعر الجيد هو من يكون صادقًا وفي نفس الوقت قادرًا على إقناعك دون تكلف، ممتلكًا لأدوات خطابه، خبيرًا بمواطن التأثير في مخاطبه.

٢٢ـ مراعاة الجوانب النفسية عند المخاطب:

فلكل مخاطب خطاب، فخطاب العامة غير خطاب الخاصة، وخطاب السوقة غير خطاب الملوك، وخطاب رجال الدين غير خطاب الساسة والحكام، وهكذا والشاعر الجيد هو الذي يخاطب كُلًا بخطابه، ويراعي الجوانب النفسية عند المخاطب .

يقول الآمدي بعد ذكر أبيات للبحتري في مدح الفتح بن خاقان: «هكذا لعمري تمدح الملوك» [١]

٢٣ـ حسن التوثيق ودقته وأمانة الباحث العلمية:

وهذا مبدأ عام مطلوب في كل البحوث العلمية، وهو في الموازنة أشد طلبًا، ويتعلق بهذا نسبة الأبيات الشعرية إلى أصحابها وبحورها وكذلك تخريج الأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية وسائر النصوص المنقولة.

ومما يتعلق بالدقة: إيجاز التعريف بالأعلام أو الشعراء التي يدور حولها

(١) الموازنة للآمدي٣/١١

محور الموازنة إيجازًا يتناسب مع المقام، وذكر كلمة موجزة عن كل الشخصيات التي دار حولها حديث الشاعر في الغرض المقصود بالدراسة، مع التركيز على الجوانب الحياتية التي تتعلق بالموازنة، فإذا كانت الموازنة في غرض المدح أو الرثاء أو الاعتذار أو غيرها فعلى الباحث أن يذكر في حياة الشاعرين ما يتعلق بارتباط الشاعر بمن يمدحه أو يرثيه أو يعتذر إليه، هل كانت العلاقة بينهما قائمة على الصداقة والمحبة، أم كانت قائمة على المصالح الشخصية والقبلية، أم كانت متمثلة في مداح يقف على أبواب الملوك للاستجداء وطلب العطاء، كل ذلك على الباحث أن يثبته ويوظفه في استنتاج الفروق النظمية والدلالية بين الطرفين .

ومما يتعلق بالدقة: خلو الرسالة أو البحث من الأخطاء اللغوية والطباعية والمخالفات التاريخية وتناقض الباحث مع نفسه .

٢٤ـ ذكر الصفات الخلقية التي برزت عند طرفي الموازنة:

هل كان الشاعران أو الطرفان عمومًا متفقين في كثير من الصفات الأخلاقية والمنهج والمشرب في الحياة ؟ أم كان بينهما تناقض كبير وفجوة واسعة، فزهير والأعشى كلاهما مدّاح، لكن شخصية الشاعرين تناقضت تناقضًا فجًا، واتسع البون بينهما؛ فزهير لا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، بينما نجد الأعشى يطوف على العرب لمدحهم ونيل عطاياهم، وزهير لا يتكسب بشعره، ومن ثم ظهر عنده جانب الصدق والأخلاق، بينما نجد الأعشى يمدح بغرض التكسب بحيث لو خرج من عند الممدوح دون عطاء لحول مدحه إلى هجاء، وزهير متدين حكيم حليم خلوق تجري الحكمة متدفقة على أثلة لسانه مطبوعة بالمعاني الإنسانية الراقية الخالدة على مر الزمان والمكان، بينما الأعشى حياته مليئة بالشرب واللهو والخمر ومعاقرة النساء.

هذا على سبيل المثال فعلى الباحث أن يذكر ذلك كله ويربطه بالنصوص المراد الموازنة بينها.

٢٥ ـ أن يكون لدى الباحث حاسة قوية بفهم الشعر والقدرة على التمييز بين جيده ورديئه عن طريق الدُّربة وإدمان النظر في النصوص:

وذلك إنما يكون بكثرة القراءة والاطلاع على عيون الشعر العربي، والفهم الجيد لقواعد النقد، بحيث تتكون ملكة لدى الباحث يستطيع من خلالها أن يميز بين الجيد والرديء بحاسته النقدية وملكته الذوقية.

يقول الآمدي:

«ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان، ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهو علة ما لا يُعرف إلا بالدُّربة ودائم التجربة وطول الملابسة، وبهذا يفضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته، وقلت دربته، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبلٌ لتلك الطباع وامتزاج بها، وإلا فلا، ثم أكلك بعد ذلك إلى اختيارك، وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك، فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد عليك، ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنصف.» (١)

٢٦ـ تعليل الظاهرة وذكر أسباب التفضيل أو التأخر والنقصان:

وذلك حتى يكون الباحث موضوعيًا في أحكامه، لا يطلق أحكامه جزافًا دون تعليل علمي مقبول، يستند فيه إلى قواعد النقد الموضوعي، مبينًا ما لكل منهما من محاسن وما عليه من مساوئ.

يقول الآمدي: «وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي من نعت مذهبيهما، وذكر مساويهما في سرقة المعاني من الناس وانتحالها، وغلطهما في المعاني والألفاظ، وفي إساءة من أساء منهما في الطباق والتجنيس والاستعارة، ورداءة النظم واضطراب الوزن، وغير ذلك مما أوضحته في مواضعه وبينته، وما سيعود ذكره في الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة، وما سنراه من

(١) الموازنة للآمدي : ١/ ٤١١

محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعاتهما؛ فإني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب، وأنص على الجيد وأفضله، وعلى الرديء وأرذله، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص، وتحيط به العبارة » (١)

٢٧ ـ على الموازن البلاغي أن يراعي معايير ومقاييس جودة الصورة البيانية بين طرفي الموازنة من حيث:

الجدة والابتكار والغرابة، والبعد في المبالغة، والتصوير المتفرد، والتفصيل والإجمال، والترقي في المعنى، وإصابة التصوير الحسن؛ أيهما أملأ حسا، وأغنى تصويرا، ومن حيث تناغم الوصف مع المعنى، وحسن الإبانة، وقوة الخيال، وجمال الاستعارة، وبلاغة التشبيه، وحسن الكناية...إلخ.

٢٨ـ وعليه كذلك أن يراعي معايير خصائص الظاهرة البلاغية في إجادة الصياغة ، مثل:

القصر وطرقه، الاستفهام، الصنعة الجيدة، سهولة الألفاظ، عذوبة الأسلوب، لطف الصنعة، التجديد في المعنى، الإيجاز، التعبير بالرمز والإيحاء، الإيماء بالمعنى على المعنى، التأثر بالقرآن الكريم، التأليف بين المتنافرات، الزيادة في المعنى مقبولة أو غير مقبولة ... إلخ.

٢٩ ـ وعليه كذلك أن ينظر في معايير جودة الأخذ في السرقات:

من حيث السبق مع صنعة جيدة، وتصوير جيد، أيهما أذهب في المبالغة ومناسبة السياق، وهل هو أخذ مع ابتكار وإجادة وتصرف وزيادة في المعنى، أم أنه توارد على الفكرة والخواطر، أم أنه أخذ المعنى ولم يدخل عليه من الصنعة ما يجعله مخصوصا به، وهل له الفضل في حسن الإبانة عن المعنى المأخوذ، وتجويد ألفاظه، وتحسين تمثيله، باتساع واقتدار، بتصفية المعنى

(١) الموازنة للآمدي : ١ / ٤١٠، ٤١١

وإجادة سبكه ... إلخ ؟[1]

٣٠ ـ وأخيرا على الباحث الموازن أن ينظر في الظواهر البديعية عند الشاعرين:

وهل هي مطبوعة فطرية متوافقة مع المعنى والمقام والجانب النفسي، أم أنها جاءت نافرة مصنوعة يشوبها التكلف، وكذلك عليه أن ينظر في الموسيقى الخارجية للقصيدة من الوزن والقافية ومدى توافقها مع المعنى والمقام والموضوع، أو نبوها عنه، وكذلك الموسيقى الداخلية من حيث توافق الكلمات مع موضوعه، وقدرتها بجرسها وأصواتها على تصوير الانفعالات النفسية والحركية والنهوض بالمعنى، أو التقصير في ذلك.

هذه أبرز الأسس النظرية التي هداني الله ـ ﷻ إليها ، للموازنات البلاغية، والباب مفتوح للزيادة ، وقد يطبقها الموازن البلاغي في نصوصه كلها، أو في بعضها، وقد يأخذ منها ويدع، حسب كل سياق ومقام وموضوع، فكل نص أدبي له ظروفه وظروف صاحبه ، وهي في مجملها ليست سوى إشارات وعلامات يهتدي بها في مجال الموازنة البلاغية بين النصوص، وعلى الله قصد السبيل.

(١) أفدت الأساس السابع والعشرين ، والثامن والعشرين ، والتاسع والعشرين من تعليقات شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور / رفعت السوداني حفظه الله وبارك في عمره وعافيته وعلمه وولده وأهله ، بعد تحكيم البحث .

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية للموازنة

النموذج الأول

وإليك أيها القارئ الكريم أنموذجًا شعريًا لتقف من خلاله على ذلك:

خطاب النابغة الذبياني وهو يعتذر للنعمان مقارنة بخطاب سيدنا كعب بن زهير . ﷺ وهو يعتذر لرسول الله ﷺ:

يقول النابغة:(١)

أُنبِئتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعدني ولا قرار على زأرٍ من الأسَدِ

مهلاً فداءً لك الأقوام كُلُّهُمُ وما أُثمر من مالٍ ومن ولدِ

لا تقذفني برُكن لا كِفاءَ لـه وإن تأثفك الأعداءُ بالرِفدِ

وقد أخذ مضمون هذه الأبيات الثلاثة سيدُنا كعبُ بنُ زهير – ﷺ – في اعتذاره لرسول الله – ﷺ– متأثرًا بالمعنى واللفظ معًا، حيث يقولُ في قصيدته المشهورة، والتي مطلعها (٢) :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيم إثرها لم يفد مكبول

يقول في المعنى السابق:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب، ولو كثرت عني الأقاويلُ

والقصيدة على نفس البحر وهو «بحر البسيط»، وقد أخذ كعبُ بعض ألفاظ النابغة: «أنبئت أن ٠٠ أوعدني ٠٠ مهلاً»، وهذا هو ما يُسمى إغارة

(١) انظر : ديوان النابغة الذبياني : ٢٦

(٢) انظر ديوان كعب بن زهير:٨٩ تحقيق د/محمد يوسف نجم – دار صادر بيروت – ط/أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م٠

ومسخًا [1] وقد تفوق كعب على النابغة في ذكره للعفو «والعفو عند رسول الله مأمولُ» وهو في مقام الاعتذار، وفي هذه الجملة استعطاف بالغ ينتزع العفو انتزاعًا من صاحبه، بيد أنه يمكن الانتصارُ للنابغة بأنهُ يعلمُ بطش النعمان وحبه لسفك الدماء، وفي نفس الوقت حُبهُ للتعظيم البالغ ومن ثم خاطبه بقوله: «ولا قرار على زأر من الأسد» فخاطبه خطاب الملوك؛ ليغذي فيه الكبرياء الملكية، أما كعبُ . رضي الله عنه . فيعلمُ عظيم أخلاق رسول الله– صلى الله عليه وسلم . لذا بادره بذكر العفو، لما يعلم من حبه للعفو، واتصافه بالكرم والسماحة وعظيم الأخلاق، وخاطبه حطاب الأنبياء.

ولذا جاء بالبيت التالي مُشيعًا لألفاظ إيمانية بين ثنايا البيت قائلاً:

مهلاً، هداك الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

حتى يتناسب مع حال مخاطبه، بخلاف مخاطب النابغة الذي قال له:

مهلاً فداءً لك الأقوامُ كلهم وما أثمر من مال ومن ولد

بهذه النبرة العالية التي تموج بالخوف الراجف، والقلق البالغ من بطش النعمان، الذي لا يرحم، ومن ثم حشد لهُ الشاعر الفداء بهذه الأشياء الثلاثة، التي هي من أغلى وأعز ما يملكُ الإنسان «العشيرة، والمال، والولد».

أما كعب فهو يذكر رسول الله – ﷺ– بربه وهدايته له، وبالقرآن وما فيه من حكم وآداب، لأنه يعلم أن هذه الأشياء هي المدخل لقلب رسول الله.

وقد مدح النابغة صاحبه بقوة العشيرة، وعدم وجود من يكافئه قدراً ومنزلة ومواجهة، يقول:

لا تقذفني بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرفـد

أخذه كعب بن زهير فقال:

---

(١) الإغارة والمسخ: هو أن يأخذ المعنى مع بعض اللفظ، وتغيير النظم. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ٤٥٥ للخطيب القزويني تحقيق ودراسة الدكتور عبد القادر حسين مكتبة الآداب

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب، ولو كثرت عنى الأقاويل

وقد خلا بيت كعب من هذا المعنى، وزاد كعب على النابغة بهذا الاحتراس الذي يفيد براءته صراحة وهو قوله: «ولم أذنب»، وزاد النابغة إبراز صورة الأعداء ملتفين حول الملك يزينون له الوشاية، وقد ذكر كعب «الوشاة» صراحة، وسماهم النابغة «الأعداء» ولفظ الوشاية أقوى وأنسب وألصق بمقام الاعتذار، حيث إن الوشاية تقتضي العداوة بلا عكس، كما أن ذكره لـ«أقوال – الأقاويل» يوحي بأنها اختلاقات كاذبة وأقاويل باطلة روجها لديه الأفاكون.

ونلحظ اتفاق الشاعرين في الصدق الفني، لموقفهما الراجف، بينما افترقا في الصدق الواقعي، فالأول «النابغة» سلك طريق المدُاجاة خوفًا على حياته ورغبة في مصالحه الشخصية والقبلية، أما كعبٌ فقد جاء مؤمنا مقلعاً عما بدر منه مخلصاً لصاحب الدعوة – ﷺ– (١).

وهكذا ينبغي للموازن أن يقف مع الفروق الشخصية للمخاطب وأن يبرز مدى توفيق الشاعر في مراعاة مقام الخطاب ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

(١) انظر: الاعتذاريات بين النابغة الذبياني وعلي بن الجهم دراسة بلاغية تحليلية موازنة: ٣٧٢ تامر محمد أحمد حجاوي ماجستير كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ٢٠٠٥.

النموذج الثاني

وهو عبارة عن موازنة صامتة وردت عند الآمدي في موازنته بين الطائيين، لم يعلل فيها الآمدي حسنًا ولا جودة ولا رداءة، فأطلت النظر فيها لأبرز ما بينهما من فروق بلاغية .

وهذه الموازنة في باب الابتداءات، حيث ينبغي للناقد البلاغي وهو يوازن بين الشعراء أن يعمد إلى ابتداءات كل شاعر ويبوبها أبوابًا حسب المعاني والموضوعات المشتركة التي تناولها الشاعران أولًا، فيذكر ما اتفق فيه الشاعران ثم ما انفرد به كل شاعر.

يقول الآمدي: «وأفتتح ذلك بما جاء عنهما من الابتداءات في هذه المعاني، وأبوّبها أبوابا لتصح الموازنة بينهما» (١)

ثم يذكر الآمدي أحد الموضوعات التي تناولها كلا الشاعرين وهو : «ما قالاه في البكاء على الظاعنين» فيذكر لأبي تمام قوله :

يا بعد غاية دمع العين إذ بعدوا هي الصبابة طول الدهر والكمد (٢)

ثم يطلق حكمه النقدي على ابتداء أبي تمام قائلا : «هذا أجود ابتداءاته في هذا المعنى وأبلغها، وأجود منه وأحلى قول البحتري :

قلب مشوق عناه البث والكمد ومقلة تبذل الدمع الذي تجد (٣)

ثم يعلق قائلًا: قوله: «تبذل الدمع الذي تجد» معنى ما لحسنه نهاية، ولفظ في غاية البراعة والحلاوة.

وحين نتوقف مع كلام الآمدي ونقداته نجده يستعمل «أفعل التفضيل»

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي: ٥/٢

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي :١٠/٢ تحقيق محمد عبده عزام . الطبعة الرابعة سلسلة ذخائر العرب دار المعارف.

(٣) ديوان البحتري :٤٩٥/١ عني بشرحه وتحقيقه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية دار المعارف ذخائر العرب.

وهو يوازن بين الشاعرين في ابتدائهما مشتقا له من الأفعال: جاد، بلغ، حلا «أجود وأبلغ وأحلى» مفضلًا ابتداء الشاعر «أبي تمام» هنا على سائر ابتداءاته في هذا المعنى «هذا أجود ابتداءاته في هذا المعنى وأبلغها»، ثم يفضل ابتداء البحتري عليه ويقدمه بقوله: «وأجود منه وأحلى قول البحتري ...إلخ»

وهنا نجد الناقد الموازن يفاضل بين معاني الشاعر نفسه داخل موضوع واحد، وهو يدل على أنه قرأ شعر أبي تمام كله وفقه معانيه، ومن ثم يؤسس قاعدة مهمة هنا في الموازنة وهي: ضرورة الإحاطة بشعر الشاعر كله وقراءته، بل وفهمه وفقهه وسبر أغواره ومعرفة أغراضه ومقاصده ومراميه، قبل أن يلج الناقد باب الموازنة.

فمما يؤخذ على الباحث والناقد في ميدان الموازنة أن يتسرع في إصدار الأحكام على الشاعرين قبل قراءة شعرهما وفقهه جيدًا، ومن ثم تأتي الأحكام في أغلبها عرجاء مشوهة الخلق.

وهذا نقد ذوقي لا تعليل فيه وهو موافق لأهل زمانه وفقههم للغة، ولو فعل ذلك باحث عندنا اليوم في الموازنة البلاغية بين الشعراء لحاسبناه على إرسال الأحكام على عواهنها دون تعليل.

ومع ذلك أقول: إن الآمدي لا يعوّل في موازنته وتفضيله على أفعل التفضيل فقط، بل يستحسن كلمات نادرة لأحد الشاعرين بقوله مثلًا : قوله : «تبذل الدمع الذي تجد» معنى ما لحسنه نهاية، ولفظ في غاية البراعة والحلاوة.

فهو هنا عدل عن الموازنة إلى الحكم على كلمة نادرة للبحتري، هي ما سبق وقد وصفها بالحسن والبراعة والحلاوة، منصفا للمعنى واللفظ معا دون أن يتغافل عن أحدهما، وقد ابتدأ بالمعنى لأنه يتحدث هنا عن معاني الابتداءات، ثم يثني باللفظ حتى لا يقع في دائرة من ينصر أحدهما على الآخر، وهو حين يصف المعنى بالحسن ينفي أن يكون لحسنه نهاية، فيفتح بذلك قلبك وعقلك

إلى أن تكدهما في البحث عن مظاهر هذا الحسن في قول الشاعر «تبذل الدمع الذي تجد» فتتكشف أمامك صورة تلك العين وهي تعنّي نفسها، أو الأصح أن نقول: تبذل دموعها بسخاء وعطاء، وكلمة «تبذل» كلمة سخية فيها معنى الأريحية والرضا والعطاء، ثم إنها لا تبذل دمعًا أي دمع وإنما «تبذل الدمع الذي تجد».

أي أنها لا تدخر وسعًا في بذلها وعطائها وذرفها للدموع حتى تستنزف دمعها، وتستنزل ماءها، فلا يصير فيها دموع من شدة بكائها وكثرة انحدار دموعها على فراق أحبابها، وهو لم يعبر عن تلك العين بالعين، وإنما عبر عنها بالمقلة، التي هي لب العين ولبابها وهي المسئولة عن انحدار الدموع وسيلانها، وكأن العين لا تبكي وإنما يبكي فيها قلبها، إن صح أن لها قلبًا، ومركز إبصارها.

هذه المعاني هي التي أرادها الآمدي حين قال: «معنى ما لحسنه نهاية، ولفظ في غاية البراعة والحلاوة».

ولا يمكن لنا أن نفصل أبدا بين اللفظ والمعنى وإن كان لكل منهما مصطلحات نقدية خاصة لا تصلح للآخر، فالحسن يناسب المعنى، والبراعة والحلاوة تناسب اللفظ، وقد تستعمل لكليهما بيد أن الأنسب لكل منهما ما وصفه به.

وحين نضع الابتداءين في كفتي الميزان البلاغي نجد أن البحتري ابتدأ قصيدته في البكاء على الفراق بذكر القلب المشوق، بينما ابتدأها أبو تمام بذكر دموع العين، والأصل أن يكون الحزن في القلب، لكن موقف الفراق يناسبه دمع العين؛ لأن أول ما يصيب الحبيب عند فراق حبيبه هو انهمار عينيه بالبكاء تلقائيا، ولذلك أحسن أبو تمام وتفوق هنا على البحتري، أضف إلى ذلك الحسن مدة الياء وذكر البعد: يا بعد غاية دمع العين إذ بعدوا، وما وراء ذلك من إحساس المحبين بطول زمن الفراق وإن كان قصيرًا، وقد جعل الرجل لدمع العين غاية هي البعد والفراق، وأصاب في ذلك ؛ لأن تلك الدموع

تنقطع باللقيا بين الأحباب.

وإذا كان ابو تمام قد أصاب بذكر الدمع في مطلع قصيدته عن الفراق، فإن البحتري ابتدأ بالترتيب العقلي فذكر القلب أولًا وهو موطن الحزن، ثم ثنى بذكر العين والدمع وهو نتيجة هذا الحزن، وهذا الترتيب وإن كان منطقيًا لكنه غير مناسب في مقام الفراق الذي لا يعرف فيه العاشقون عقلًا ولا منطقًا بينما يخضعون لعاطفة مفعمة بنار الفراق فتنهمر دموعهم وفقًا لذلك دون مقدمات، وهو ما أصاب فيه أبو تمام، لكن ذكر البحتري للعناء والبث والكمد يبرز لنا قلبًا يحترق من نار الفراق، وتخرج مع نبضاته زفرات الألم ولهيب الشوق، والعين عند البحتري عين سخية معطاءة تجود بالدموع ولا تتوقف حتى ينضب ماؤها: ومقلة تبذل الدمع الذي تجد .

وقد جعل أبو تمام محبوبته هي اللوعة والصبابة والكمد طول الدهر

«هي الصبابة طول الدهر والكمد»، بينما جعل البحتري الكمد سببًا لعناء قلبه المشوق، وهو كمد ناتج عن الفراق.

لقد تفوق البحتري على أبي تمام حتى في اختيار الكلمات المناسبة لمقام الفراق، فقد ورد عنده «القلب والشوق والعناء والبث والكمد والدمع والبذل» بينما ورد عند أبي تمام «البعد ودمع العين والصبابة والكمد» وألفاظ البحتري تنطق بتفطر هذا القلب الجريح من أثر الفراق ولوعته.

النموذج الثالث

في انقياد الحسن والجمال للمحبوبة

يقول أبو تمام في انقياد الحسن والجمال لصاحبته:

أطاعها الحسن، وانحط الشباب على فؤادها، وجرت في روحها النسب[1]

قال الأمدي: وقوله : أطاعها الحسن من أبياته التي يسأل الناس عنها، فقوله : «أطاعها الحسن» من قول بشار :

كما اشتهت خلقت حتى إذا اعتدلت نمت تمامًا فلا طول ولا قصر

وفي نحو قول أبي نواس :

تُركـــت والحســـن تأخـــذه تنتقـــي منـــه وتنتخـــب

فانتقت منه طرائفه واستزادت فضل ما تهب [2]

وبالنظر فيما سبق من أبيات نجد أبا تمام قد جعل الحسن منقادا لمحبوبته «أطاعها الحسن» ويسلم قياده لإرادتها، ولفظ الإطاعة يوحي بمطلق التسليم لمحبوبته، فهي تأخذ من الحسن ما شاءت في الخلق والخُلق، والدلال والغنج والدل والشنب ...الخ مظاهر الحسن وحسن القوام وغيره.

وقد أحسن الآمدي حين قال: «وقوله: «أطاعها الحسن» من أبياته التي يسأل الناس عنها».

فهي بحق من الأبيات السائرة النادرة البالغة في الجودة.

وقد أخذه من قول بشار بن برد:

كما اشتهت خلقت ... البيت، وهذه الجملة تأتي في مقابل قول أبي تمام

---

(١) ديوان أبي تمام : ٢٤٠/١

(٢) الموازنة للآمدي : ٢ / ٣٩، ٤٠ والبيتان في ديوان أبي نواس برواية الصولي :٥٩٠ برواية : خُليت بدل تُركت تحقيق : الدكتور / بهجت عبد الغفور الحديثي دار الكتب الوطنية أبوظبي

«أطاعها الحسن» غير أن بشارًا ابتدأ معناه بهذه الصورة التمثيلية التشبيهية؛ حيث شبه هيئتها في حسنها وجمالها واعتدال خلقها وخلقها، في أحسن هيئة وأجمل صورة بهيئتها إذا كانت قد خُلقت في جمالها وفق ما تشتهيه نفسها ويتطلبه هواها، فهي تختار من الحسن ما شاءت وتدع ما شاءت، وفقا لهواها ورغبتها فيما تشتهيه وتهواه ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الانقياد والطواعية الكائنة من صاحبته في اختيار ما تتمتع به من مظاهر الحسن والجمال كما أرادت .

وقد أحسن بشار كذلك في إسناد فعل الخلق للمفعول «كما اشتهت خلقت»؛ حيث لا دخل لها في الخلق، وبناء فعل الاشتهاء للمعلوم «كما اشتهت»، فجعلها كالمتحكمة في اختيار الشكل الذي تهواه، فالاختيار لها والخلق لله.

وإذا كان بشار قد استعان بالتمثيل، فقد استعان أبو تمام بالاستعارة المكنية، في قوله: أطاعها الحسن؛ حيث شبه الحسن بعبد أو خادم ينصاع لأمر سيدته، ثم حذفه ودل عليه بلازم من لوازمه وهو الإطاعة.

وقد حصر بشار حسنها في تمام خلقتها واعتدالها، ونموها نموًا تامًا لا طول فيه ولا قصر، بينما جعل أبو تمام تمام حسنها في الحسن المعنوي وجمال الروح، وقوة القلب والنفس «وانحط الشباب على فؤادها».

والبيتان يكمل بعضهما بعضًا، فإن الحسن له جانبان: مادي ومعنوي، فالمادي يتعلق باعتدال الخلق والخلقة، والمعنوي يتعلق بجمال الروح، ولا غنى عنهما في اكتمال مقاييس الجمال.

وقد اختار كل واحد من الشاعرين من ألفاظه ما يناسب معناه، فابو تمام يعلي جانب الروح ؛ ولذلك اختار ألفاظ «الفؤاد الشباب الروح الحسن»، وبشار يعلي جانب الجسد وحسن القوام ؛ ولذا وردت عنده ألفاظ «الخلق والاعتدال والنمو والتمام والطول والقصر».

قال الآمدي : قوله : «وانحط الشباب على فؤادها» يريد الذكاء والتيقظ،

وقوله : «وجرت في روحها النسب» هو أن يقال: «خفيفة الروح وغذية الروح ونحوه.» (١)

وقد أتى هذا المعنى نفسه في قول أبي نواس :

تُركت والحسن تأخذه تنتقي منه وتنتخب

فانتقت منه طرائفه واستزادت فضل ما تهب

غير أن صاحبة أبي نواس انتخبت من الحسن أطرفه وأحسنه، ثم انتقته لنفسها، ثم استزادت منه لتهب لصويحباتها.

فإذا كانت صاحبة أبي تمام وصاحبة بشار تنتقي كل منهما لنفسها الحسن، فإن صاحبة أبي نواس تنتقي لنفسها ولغيرها، وهذا دليل كرمها ونقاء نفسها، فهي ليست محتكرة للجمال لنفسها، وإنما تهب منه ما شاءت لمن شاءت.

وقد جعل أبو نواس الحسن كبضاعة ثمينة، وجعل صاحبته تنتقي منه وتنتخب وتختار أفضل هذه البضاعة، كل هذا على سبيل الاستعارة المكنية، فجعل صاحبته كأنها في سوق الجمال، يُباع فيه الحسن ويُشترى، وهي تنتقي منه ما شاءت لنفسها ولغيرها.

والحقيقة أن الشعراء الثلاثة يكادون يتكافؤون في الإبانة عن هذا المعنى؛ فقد استعان كل واحد منهم بصورة بيانية رائعة للتعبير عنه وتصويره، وإن كان أبو نواس صاغ معناه في بيتين بخلاف أبي تمام وبشار فقد صاغاه في بيت واحد.

وقد ذكر أبو تمام وأبو نواس الحسن بينما أغفله بشار، وإن كان قد استعاض عنه بترك الباب مفتوحا لصاحبته، لتشتهي من ألوان الجمال ما تشاء لتُخلق عليه : «كما اشتهت خُلقت».

---

(١) الموازنة للآمدي : ٢ / ٤٠

وقد فاقهما أبو تمام بإيجاز اللفظ؛ حيث اختصر معنى صاحبيه في جملة واحدة : «أطاعها الحسن»، ولذلك كان هذا البيت من الأبيات السائرة التي يسأل عنها الناس . كما قال الآمدي . فصاحبة أبي تمام ملكة تأمر الحسن فتُطاع، وصاحبة أبي نواس أميرة جالسة في سوق الجمال والحسن، تنتقي منه ما تشاء وتدع ما تشاء وتهب لمن تشاء.

وصاحبة بشار معنية بقوامها واعتدالها ونموها، وكأن هذا التركيز على الجانب الجسدي لدى بشار راجع لظروفه النفسية التي فقد فيها إحدى حواسه الخمس وهي البصر، فهو معنيّ أكثر بالحسّيات.

النموذج الرابع

وهو من الموازنات التي ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد، وهي موازنات صامتة

وقد ذكرها الإمام في القسم الأول من قسمي الموازنة التي ذكرها .

يقول الإمام: (١)

«وقد أردتُ أن أكتبَ جملةً من الشِّعْر الذي أنتَ ترى الشاعرَيْن فيه قدْ قالا في معنىً واحدٍ، وهو يَنقَسِمُ قسمين:

قَسمٌ أنتَ ترَى أحدَ الشاعرَين فيه قد أتى بالمعنى غُفْلاً ساذَجاً، وترى الآخَرَ قد أخرجَه في صورةٍ تَروقُ وتُعْجِبُ.

وقسمٌ أنتَ ترى كلَّ واحدٍ من الشاعرَين قد صَنعَ في المعنى وصور، وأبدأُ بالقسمِ الأول الذي يكونُ المعنى في أحد البيتين غفلًا، وفي الآخَرِ مصوَّراً مَصْنوعاً، ويكونُ ذلك إمَّا لأنَّ متأَخِّراً قصَّر عن مُتقدِّم، وإمَّا لأنْ هُدى متأخرٍ لشيءٍ لم يَهْتدِ إليه المتقدِّمُ.

ومثال ذلك قول المتنبي:

بئس اللَّيالي سَهِدْتُ مِنْ طَرَبي ... شَوْقاً إِلى مَنْ يَبيتُ يَرْقُدُها (٢)

مع قول البحتري:

لَيلٌ يُصَادِفُنِي ومَرْهَفَةَ الحَشَا ... ضِدَّيْنِ أَسْهَرُهُ لَها وتنامه» (٣)

وحين نضع البيتين في كفتي الموازنة البلاغية يتضح لنا ما يلي:

أولاً: جاء المتنبي بأصل المعنى غُفلا دون صنعة أو تصوير، وأما البحتري فأخذه وصور فيه وأحسن ؛ فمن تصويره وإحسانه أنه لم يستهل بيته

---

(١) دلائل الإعجاز : ٤٨٩، ٤٩٠

(٢) ديوان المتنبي :٨ وهو وارد في الديوان بتنوين «طرب» دون إضافته إلى الياء دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

(٣) ديوان البحتري: ٣/ ٢٠٣٧

بذم الليالي التي سهر فيها لصاحبته ورقدت، فدل على أنه على إساءتها إليه، وتبرمه من هول الليل، كان راضيا بما يصنع محتملا سهر ليل تنامه، قانعا بإلمامة من طيفها أو برق يضرم في جوانحه هوى الشوق، ولذا قال قبل بيت الشاهد:

عَهْـدِي بِرَبْعِـكَ مُـثَّلاً آرَامُـهُ ... يُجْـلَى بِضَـوْءِ خُـدُودِهِنَّ ظَلاَمُـهُ
إِلْمَامَـةً بالـدَّارِ، إِنَّ مُتَـيَّماً ... يَكْفِيـهِ أَكْثَـرَ شَـوْقِهِ إِلْمَامُـهُ
أَمْسَى يُصرِّمُ فِي جَوانِحِهِ الجَوى ... بَـرقٌ يَشُـبُّ مـع العَشِيِّ ضِرَامُـهُ
لَيْـلٌ يُصَـادِفُنِي ومُرْهَفَـةَ الحَشَـا ... ضِـدَّيْنِ، أَسْـهَرُهُ لَهَـا وتَنَامُـهُ

أما المتنبي فاستهل بيته بذم هذه الليالي فقال «بئس الليالي» فضجر من لياليه لما سهرها يعالج تباريح الشوق لمن رقدت آمنة هادئة، ولم يرتق مرتقى البحتري ولم يسمح به لنفسه، فكان حاله مع صاحبته حال المحاسب المدقق، وكان حال البحتري حال المتفضل عليها مهما أرقت الواصل لها، مهما جفت، وبينهما فرق كبير.(١)

فالمتنبي مع محبوبته منّان ضجر متأفف، وقد ابتدأ بيته بقوله: «بئس الليالي» فجعل هذا الخاطر وذلك الأرق الذي أذهب النوم من عينيه بينما تنام

(١) أفدت هذا الجزء من الموازنة من مسوّدة كتبها شيخي ا د / سلامة جمعة داود بخط يده في مكة المكرمة يوم الأربعاء ٢٢جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٠م وذلك بعد أن ناقشت شيخي في تلك الأبيات وكنت على وشك تفضيل بيت المتنبي فدلني على الصواب، وأرسل إلي هذه المسودة وكتب لي : فانظر كم من أيام وسنين انطوت وذهبت مع الريح ولا تزال هذه المسوّدة بخطي وفيها موازنات بين أبيات كثيرة، لم أثبتها في بحثي المنشور، جزاك الله خيرًا أن ذكرتني بها ورددتني إليها، ولا شك أنك ستكتب أفضل منها كثيرًا كثيرًا، وفقك الله حبيبنا الغالي. اهـ وقد ضننت بهذه النقدات الذهبية أن تضيع فدونتها هنا كما هي، حفظ الله شيخي وبارك في علمه وعمره وعمله وولده وأهله.

محبوبته ملء الجفون والعيون، جعله حدثا أرّق لياليه حتى صارت يئس الليالي، وجمعها يشير إلى كثرتها وتعددها، فليست ليلة أو ليلًا . كما عند البحتري . وإنما هي ليال ثقيلة على قلبه ونفسه، وقد أفاد الفعل «بئس» وهو للذم أنها ليال كريهة إلى قلب الشاعر مرت عليه بألم مضن، احترق فيها كبده واكتوى بألم الشوق، وفارق النوم جفونه، وجعل السُّهاد وسادة له حتى كأنه يضطجع على الأشواك، وهكذا يكون ليل المحبين العاشقين، لكن المتنبي أفسدها بفعل الذم «بئس» وكأنه يتحدث عن عدو لا عن محبوب.

ثانيًا: عبر المتنبي عن سهره بقوله: «سهدت من طربي شوقًا إلى ...»، وفي المقابل ذكر البحتري «أسهره لها»، والسُّهاد نظير السهر بل إن بعض الروايات عند المتنبي وردت بلفظ «سهرت» بدل «سهدت» والسهاد : الأرق أي ذهاب النوم عنه ليلا، ويقال سهد المريض : أرق ولم يستطع النوم، وأسهده الهم أرّقه، وأسهده التفكير والخوف والقلق والمرض [١]

والسهر: عدم النوم ليلًا، وليلة ساهرة: ليلة سمر وأحاديث وطرب، والسهر: الأرق [٢]

فالسُّهاد عند المتنبي يحمل معاني الأرق والهم والتفكير والخوف والقلق وربما المرض، وهذه المعاني تتناقض مع رقة العاشقين وطرب المحبين.

وقد حصر المتنبي علة السهاد في طربه وشوقه إلى محبوبته، بينما جعل البحتري سهره لها: «أسهره لها»، وفرق بين «أسهره لها» و«أسهد في ليلي شوقًا إليها، فلام التخصيص عند البحتري أفاضت على بيته ظلالًا وارفة من العطاء والبذل والتضحية في سبيل إرضاء محبوبته، بخلاف حرف الانتهاء والغاية عند المتنبي «إلى» وما يوحي به من معاني النفعية المحضة، والتعلق بقضاء الوطر وحاجة الجسد.

ثالثاً: نص البحتري على وصف حسي لمحبوبته «مرهفة الحشا» كناية

---

(١) اللسان والمعجم الوجيز : سهد مجمع اللغة العربية طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

(٢) للسان و المعجم الوسيط : سهر مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

عن ضمور خصرها وبطنها وهو صفة مستحسنة في النساء، مسبوقًا بواو المعية التي تفصح عن اصطحاب الشاعر لخيال محبوبته، فهي وإن فارقته جسدًا إلا أن روحيهما تقترنان، وهو وإن كان وصفًا حسيًا جسديًا لمحبوبته، إلا أنه يزكي من وقود نار الشوق والأرق والسهر إليها.

بينما وصفها المتنبي بقوله «إلى من يبيت يرقدها» هكذا مستعملًا الاسم الموصول العام «من» وهو يوحي بالتجاهل والازدراء، ربما يرجع ذلك لطبيعة المتنبي وإحساسه دائمًا بالزهو والخيلاء، وقد يحمل معنى عدم اكتراث المحبوبة وأنها تعيش سعيدة رغدة الحياة بلا أرق أو هموم، وعلى كل فالنص عليها بوصفها «مرهفة الحشا» عند البحتري . في نظري . أوقع وأشد تأثيرًا وأجذب للأرق وأدعى للسهر.

رابعاً: عبر الشاعران عن عدم اكتراث المحبوبة أو اهتمامها به بكونها تغط في نوم عميق ليلًا بينما هو أرق مُسهّد الفؤاد.

وقد عبر المتنبي عن ذلك بقوله: «يرقدها»، بينما عبر البحتري بقوله: «تنامه» والرُّقاد أشد وأوقع من النوم، قال تعالى: «**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**» [الكهف: ١٨]، فالرقاد فيه سكون ودعة واسترخاء طويل، ومنه الحديث: «عليك ليل طويل فارقد»[1] وذلك في عقد الشيطان على النائم، فالناس كلهم ينامون، لكن الرقاد أكثر انغماسًا في النوم وأشد سكونًا، وهذا أدعى إلى التأكيد على خلو قلبها، وتجاهل محبوبها وعدم الاكتراث به أو اشتغال قلبها به، إذ كيف يرقد العاشقون والمحبون؟

وفي النهاية يمكن القول بأن البحتري . بلا شك . تفوق على المتنبي في معناه ولفظه، وإن كلن كل منهما أفصح عن تجربة قاسية في ليل ساهر، يمتلئ فيه فراش المحبين بالأشواك، بينما تنعم المحبوبة بالنوم الهانئ في بحر من الهدوء وراحة البال.

(١) جزء من حديث رواه :أبو داود في سننه : رقم : ١٣٠٨: سنن أبي داود – الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت.

خطة مقترحة

كثير من الباحثين في الموازنات البلاغية يقع في حيرة حين يهم بوضع خطة لبحثه، وقد ذكرت سابقًا أن لكل باحث منهجه وفق مقتضيات بحثه وقناعة أستاذه وقناعته هو أولا، وأيا ما كان المنهج فإنني تيسيرًا على الباحثين أضع الآن خطة تصلح لمعظم البحوث البلاغية الموازنة، لاسيما إذا كانت في الشعر، قد يضيف إليها الباحث أو يحذف أو يعدل أو ينسج على منوالها .

فلو افترضنا أن موضوع الموازنة في الوصف أو الفخر أو الرثاء بين فلان وفلان فيمكن أن تكون الخطة كالتالي:

ـ **المقدمة**: وفيها يبرز الباحث الدراسات السابقة سواء كانت كتبًا أم رسائل علمية، ويبين منهجه وخطته .

ـ **التمهيد**: وفيه التعريف بالشاعرين، وعلاقتهما بالمرثي، إن كانت الموازنة بين قصيدتين، أو بمن رثوهما أو مدحوهما إن كانت الموازنة في الغرض كاملًا، مع حصر دقيق لكل الشخصيات التي يدور عليها البحث، وكلمة موجزة عن الجميع، ثم نبذة مختصرة عن الموازنات البلاغية.

ـ **الفصل الأول**: المعاني بين الشاعرين: وأقصد بها الموضوعات التي تناولها الشاعران أثناء مدحهما أو فخرهما أو رثائهما ... الخ، حسب الغرض الشعري، فقد يكون الفخر مثلًا بالأدب، بالقبيلة، بالشجاعة، بالكرم، بالنجدة وإغاثة الملهوف ...الخ.

وعلى الباحث حينئذ أن يميز بين الموضوعات والمعاني التي طرقها الشاعران، وبين الألوان البلاغية التي وردت عندهما، فهذا شيء وذاك شيء آخر.

ـ **المبحث الأول** : المعاني المشتركة بين الشاعرين : فيذكر هنا ما اتفقا فيه من معان مبرزا قدرة أحدهما على التفصيل، أو تفوق الآخر في الإيجاز أو ما شاكل ذلك، فطبيعي أن الشاعرين لن يتفقا في طريقة تناول المعنى.

ـ **المبحث الثاني** : المعاني التي انفرد بها كل شاعر :

- **المطلب الأول** : انفرادات فلان
- **المطلب الثاني** : انفرادات فلان
- **الفصل الثاني** : الألوان البلاغية بين الشاعرين :
- **المبحث الأول** : علم المعاني
- **المبحث الثاني** : علم البيان
- **المبحث الثالث** : علم البديع

وداخل كل مبحث من مباحث البلاغة تذكر :

- القصر بين الشاعرين
- الإنشاء بين الشاعرين
- التشبيه بين الشاعرين
- الاستعارة بين الشاعرين

وهكذا يذكر الأبواب البلاغية البارزة عندهما أو عند أحدهما من خلال استقراء وتتبع نتاجهما تتبعا تاما حتى يستطيع أن يعطينا تصورا عن طبيعة كل فن بلاغي عند كل شاعر على حدة .

ففي التشبيه مثلا يمكن تناول مصادر التشبيه عند الشاعرين، عدد الصور التشبيهية، كثرته أو ندرته وتفسير ذلك، أدوات التشبيه المستعملة عندهما، وجه الشبه، تفصيل التشبيه وإجماله، الخ.

- **الفصل الثالث:** البناء التركيبي بين الشاعرين :
- **المبحث الأول:** مقدمة القصيدتين : تفسير وموازنة
- **المبحث الثاني** : علاقة المطلع بالمقصد والختام
- **المبحث الثالث** : الموسيقى بين الشاعرين
- **المطلب الأول:** الموسيقى الخارجية : (الأوزان والقوافي)
- **المطلب الثاني** : الموسيقى الداخلية وتشمل :
- انتقاء الألفاظ الأقرب لمعجم الفن الشعري (موضوع الموازنة)

فالفخر مثلا له معجم : كالبطش والكبر والغرور والكرم والإطعام

واستعمال الأنا ونحن، والشجاعة والفصاحة ومفردات من هذا القبيل، والاعتذار له معجم كالعفو والسماحة والوشاية والنميمة والفداء والذنب والحرمة والخضوع والأعداء والظنون الخ وهكذا.

ـ المد وأثره في التنفيس عن الأحزان، في مقام الرثاء مثلًا أو وأثره في الدلالة على الفخر في مقام الفخر مثلا، فابن الرومي وهو يرثي ولده محمدًا تجد عنده ألفاظا تشتمل على المد الذي يعطي الشاعر فرصة البوح والتعبير عن آهاته وزفراته والنار التي اصطلى بها قلبه المكلوم، فتجد: (بكاؤكما ـ يشفي . وإن كان . لا يجدي . فجودا . فقد أودى . نظيركما . عندي) تقريبًا كل كلمة في البيت فيها تنفيس وتسرية عن أحزانه من خلال الجرس الصوتي للمد.

ـ جرس الكلمة ودلالة الصوت وعلاقتهما بموضوع الموازنة: وفيه يتحدث عن علاقة حروف الكلمة بالمعنى ويفيدك في هذا ابن جني في الخصائص .

ثم **الخاتمة**، ثم **الفهارس**

مع التنبيه إلى أن كل بحث له طبيعة خاصة، فلا يتصور أن يكون الباحث مسخا شائها لغيره، استفد من غيرك بقدر، مع المحافظة على بروز شخصيتك وهذا تقليد متعارف في البحث العلمي.

ولا تنس وأنت ترصد الظاهرة ما قلته لك سابقًا من تفسير الظاهرة بعد حصرها تفسيرًا علميًا دقيقًا منطلقًا من المناسبة والمقام وطبيعة نشأة الشاعر وثقافته وحياته وظروف نشأته وعلاقته بمن يتحدث عنه ... الخ.

- الخاتمة -

بعد الانتهاء من البحث يمكن تدوين أهم النتائج التي أسفر عنها البحث وهي كما يلي:

أولا: أرسى هذا البحث بعض الأسس النظرية للموازنة البلاغية، وقد استلهم معظمها من التجارب الشخصية للباحث ومن كتب التراث البلاغي، وهي لبنة جديدة في ميدان الدواسات البلاغية، يمكن أن تنمو بجهد المخلصين المحبين للدراسات الموازنة، كل يدلي بدلوه حتى يكتمل البناء ويستوي على سوقه .

ثانياً: عمل البحث على إنارة الطريق أمام الباحثين في الدراسات البلاغية الموازنة، حيث إني وجدت كثيرًا منهم يتنكب الطريق، وقد يعزف عنه لصعوبته وثقله ومشقته، وقد بسير فيه متخبطًا يكتب وريقات يملأ بها فراغًا، فكان هذا البحث بمثابة دليل لهم .

ثالثا: دعمت الأسس النظرية بالجوانب التطبيقية لبعض النماذج في الموازنات البلاغية، حتى تُشفع النظرية بالتطبيق العملي، ليكون أكثر نفعًا، وأجدى فائدة .

رابعاً: فتح البحث مجالات رحبة للدراسات البلاغية الموازنة، من خلال الموازنات الصامتة الواردة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، والآمدي، وأبي هلال العسكري، وغيرهم من علمائنا، وهو ميدان رحب ينبغي أن يتجه نحوه الباحثون.

خامساً: يعد البحث دعوة صريحة لجيل الباحثين لخوض غمار الموازنات البلاغية في بحوثهم العلمية ؛ لأن الموازنة تحتاج إلى إعمال الفكر، وكد الذهن، وتحريك الذائقة البلاغية، وتنشيط الحاسة النقدية، ومعها يشعر الباحث المجد بمتعة البحث واللغة، والغوص على الخفايا والأسرار، كما يعرف الفرق بين عقل وعقل وفكر وفكر ومبدع وآخر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ـ الفهـــارس ـ

- أولا : ثبت المصادر والمراجع:-

١ـ الاعتذاريات بين النابغة الذبياني وعلي بن الجهم دراسة بلاغية تحليلية موازنة تامر محمد أحمد حجاوي ماجستير كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ٢٠٠٥

٢ـ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني تحقيق ودراسة الدكتور عبد القادر حسين مكتبة الآداب.

٣ ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري تحقيق د حفني محمد شرف الجمهورية العربية المتحدة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٤ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر.

٥ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام . الطبعة الرابعة سلسلة ذخائر العرب دار المعارف.

٦ـ ديوان أبي نواس برواية الصولي تحقيق: الدكتور / بهجت عبد الغفور الحديثي دار الكتب الوطنية أبوظبي .

٧ـ ديوان البحتري عني بشرحه وتحقيقه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية دار المعارف ذخائر العرب.

٨ـ ديوان كعب بن زهير تحقيق د/محمد يوسف نجم – دار صادر بيروت – ط/أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٩ـ ديوان المتنبي دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٠ـ ديوان النابغة الذبياني ت محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف.

١١ـ سنن أبي داود الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت.

١٢ـ طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر . دار المدني – جدة.

١٣ـ قضايا نقد الشعر في التراث العربي د / محمد احمد العزب.

١٤ـ كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري تحقيق الدكتور/ مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٥ـ من أصول الموازنة قراءة في شواهد الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد في كتاب دلائل الإعجاز، ا د / سلامة جمعه داود وهو منشور في كتاب ندوة البلاغة العربية سؤال الهوية وآفاق المنهج أقيمت بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى بمكة المكرمة من ١٨ـ٢٠ /٣ /١٤٣٢هـ .

١٦ـلسان العرب لابن منظور . دار الحديث . القاهرة.

١٧ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المؤلف : أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي الناشر : المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٩٥تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد .

١٨ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د أحمد مطلوب ـ الدار العربية للموسوعات الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م

١٩ـ المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

٢٠ـ المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٢١ـ الموازنات الشعرية في النقد العربي القديم، ا د / كمال عبد الباقي لاشين، دار البصائر بمصر الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٢٢ـ الموازنة بين الشعراء د / زكي مبارك دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢٣ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ): تحقيق/ السيد أحمد صقر ـ دار المعارف – الطبعة الرابعة . سلسلة ذخائر العرب .

٢٤ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي.

ثانيا : فهرس الموضوعات

الموضــوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٤٣
مقدمة	٢٤٥
تمهيد	٢٤٧
الفصل الأول : الأسس النظرية للموازنة البلاغية	٢٥٧
الفصل الثاني: نماذج تطبيقية للموازنة	٢٧٣
خطة مقترحة	٢٨٩
الخاتمة	٢٩٢
فهرس المصادر والمراجع	٢٩٣
فهرس الموضوعات	٢٩٥